وما احسن قول بعضهم ولا عيب في معروفهم غير انهم يبين عجز الشاكرين عن الشكر وقول ابن الرومي ليس له عيب سوى انه
لا تقع العين على شبهه وما احسن قول الحجاج اتوني نعاوا واج احب حبالة وقال على سمع الحب خفيف فما فيه عيب
غير ان جفونه مراض وان الخصر منه ضعيف وقول جعفر القرشي في الانسان عنه لمال امل وكان لها الا اليد اجابا
ولا عيب فيه لامرء غير انه تعاب له الدنيا وليس يعاب وما ابلغ قول ابن نباتة في مدح الملك الافضل صاحب حماة
قصيدة لا عيب فيه سوى غير ايم قصرت عنها الكواكب وهي بعد تحلق وقوله ليس فيه عيب سوى ان احسانه مديد يستعبد
الاحرار وقوله ايضا لا عيب فيه ادام الله دولته الا عزايم مجد عندهن شرر وقوله ولا عيب فيها غير سحر جفونها
واحبب بها سحاءة حين تسحر وقوله ايضا وشايع المنن التي لا عيب بها الا رجوع الوصف عنها قاصرا ومن بديع قول الاخر
عيب خلال الخلال ان لم يعرف به عيب يكون فيهن خالا ومن بديع قول بعضهم ولا عيب في هذا الرشا غير انه لم يعطف
لذي وصله منعم وما احسن قول بعضهم في باب تاكيد الذم بما يشبه المدح عكس هذا الباب بيض المطابخ لا تشكو ولايدهم
طبخ القدور ولا غسل المناديل لا تاكل النار في مغنى بيوتهم الا فتايل سرج او قناديل ومما ذكر النابغة في شواهد فصل
الايجاب والاطناب هو البدر الا انه البحر زاخر سوى انه الضرغام لكنه الوبل البيت لبديع الزمان الهمداني من
من الطويل يمدح بها خلف بن احمد السجستاني اولها سماء الدجى ما هذه الحدق النجل اصدر الدجى حال وجيد الضحى عطل
وفيها يذكر ابا الجهم في واستقباله الحجيج للسؤال عن خبره والبحث عن وطنه ووطره يذكرني قرب العراق ودعني لبيت الله
لا فيك ما لي ولا اهلي اذا ورد الحجاج واد وفاتهم فضول الى دمع هما البخل والبجل يسائلهم ابن ابنه ابن داره لم ام
لم لم يبعد هل له شغل اضافته حال اطالت له حلة الاخر فغض اقدامهم فضل يقولون ولي حضرة الملك الذي له
الكنف الماهول والنايل الجزل وفاضت عليه ديمة خلعته بها للفؤادي عين ولا بينها غزل يذكرهم بالله الا صدقتم
لدي اجله ما تقولون ام هزل سلونا للعقبان للملوك واما مثلك عن امثالهم مثلنا نسلو ولما بلونا كم تلونا عديكم
فيا طيب ما نبلوا ويا صدق ما نتلوا فدى لك من ابناء دهري حر غله فلا قوله علم ولا فعله عدل ويا ملكا ادنى مناقبه العلى
وادنى ما فيه السماحة والبذل ومنه البيت ومنه محاسن يبديها العيان كما ترى وان نحن حدثنا بها دفع العقل
وهي طويلة وقد مضى طرف منها في مراعاة النظير والضرغام الاسد والوبل المطر الشديد الضخم القطر ومثله الوابل والشاهد
فيه ان الاستدراك الدال عليه لفظ لكن في باب تاكيد المدح بما يشبه الذم كالاستثناء في افادة المراد فالاول استثناء
ان وقوله لكنه استدراك يفيد ما يفيد هذا الضرب من الاستثناء لانه استثناء منقطع والا فيه بمعنى لكن في مثله
قول ابن خلاقس هو النجم الا انه النجم طالع على انه الكافور لكنه البدر وقول بعضهم يسعى به البرق الا انه فرس من فوقه
الموت الا انه النجم طالع على انه الكافور لكنه البدر وقول بعضهم يسعى به البرق الا انه فرس من فوقه الموت الا انه رجل

وقول السري

145

ترجمة بديع الزمان

وقول السري الرفا اما ترى الثلج قد خاطت انامله ثوبا يزر على الدنيا بازرار نار ولكنها ليست بمحرقة نوار
وماء ولكن ليس بالجاري وقول التنوخي رحمه الله غصن تاود فوق دعص نقا ليل تبلج عن صباح مسفر كالنفس
الا انه متنفس عن مسكر متبسم عن جوهر وقوله ايضا وجوه كالبا الجبين رقيق ولكنها يوم الهياج صخور وقوله
ايضا وراح من الشمس مخلوقة بدت لك في قدح من نضار هواء ولكنه ساكن وماء ولكنه غير جار وما احسن ما قاله
بعضهم وهو من بديع التشبيه كان المدير لها باليمين اذا قام للسقي او باليسار تدرع ثوبا من الياسمين له فرد
كم من الجلنار وهذا المعنى من قول بعضهم وبكر شربناها على الورد بكرة فكانت لنا وردا الى ضحوة الغد اذا قام يبغي
اللباس بدا بها توهمته يسعى بكم مورد ولابي القاسم الطبري قضيب ولكن مبسم النور ثغره وبدر ولكن المحاق بحجره
ولابن جابر الاندلسي ولم تر عيني مثل جنة خدها ولكن حماها اللحظ بالصارم العضب موردة الخدين معسولة اللمى
سوى انها تفتر عن لؤلؤ رطب وما احسن قول بعضهم في شكوى الزمان ولي فرس من نسل اعوج سابق ولكن على قدر الشعير
يحجم واقسم ما افرطت فيما نويته علوا ولكن عند نحو القدم وبديع الزمان هو احمد بن الحسين بن يحيى بن سعيد
الهمداني قال في حقه صاحب اليتيمة هو بديع الزمان ومعجزة همذان ونادرة الفلك وبكر عطارد وفرد الطبع فرد الدهر
وغرة العصر ومن لم يلق نظيره في ذكاء القريحة وسرعة الخاطر وصفاء الذهن وقوة النفس ومن لم يلق قرينه في ظرف النثر و
ملحه وغرر النظم ونكته ولم يرو الى من يروي انه احد بلغ مبلغه من لب الادب وسره وجاء بمثل اعجازه وسحره فانه كان صاحب
عجايب وبدايع وغرايب فمنها انه كان ينشد القصيدة التي لم يسمعها قط وهي اكثر من خمسين بيتا فيحفظها كلها ويؤديها
من اولها الى اخرها لا يخرم حرفا وينظر في الاربعة والخمسة الاوراق من كتاب لم يعرفه ولم يره نظرة واحدة خفيفة ثم يمليها عن
ظهر قلبه هذا ويسردها سردا وهذه حاله في كتبه الواردة وغيرها وكان يقترح عليه عمل قصيدة وانشاء رسالة في معنى
بديع وباب غريب فيفرغ منها في الوقت والساعة والجواب عنها فيها وكان ربما يكتب الكتاب المقترح عليه فيبتدي
باخر سطوره ثم هلم جرا الى الاول ويخرجه كاحسن شيء واملحه ويوشح القصيدة الفريدة بالرسالة الشريفة من انشائه
فيقرا من النظم النثر ويروي من النثر النظم ويعطي القوافي الكثيرة فيصل بها الابيات الرشيقة ويقترح عليه كل عويص وعسير
من النثر والنظم فيرتجله في اسرع من الطرف على ريق لا يبلعه ونفس لا يقطعه وكلامه كله عفو الساعة وفيض القريحة
ومسارقة القلم ومسابقة اليد وجرات الحدة وثمرات المدة ومجارات الخاطر والناظر مع الطبع للسمع وكان ربما يترجم ما يقترح
عليه من الابيات الفارسية المشتملة على المعاني الغريبة بالابيات العربية فيجمع فيها بين الابداع والاسراع الى عجايب كثيرة
لا تحصى ولطايف تطول ان تستقصى وكان مع هذا كله مقبول الصورة خفيف الروح حسن العشرة ناصع الظرف
عظيم الخلق شريف النفس كريم العهد خالص الود حلو الصداقة مر العداوة فارق همذان سنة ثمانين وثلثمائة وهو

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)